

الحجاج بين الجدل والخطابة في فلسفة أرسطو دراسة مقارنة

Argumentation Between Dialectic and Rhetoric in Aristotle's Philosophy: A Comparative Study

رحمة بعزي^{1*}، النذير بولمعالي²

¹جامعة المدية يحي فارس (الجزائر)، bazi.rahma@univ-medea.dz

²جامعة المدية يحي فارس (الجزائر)، boumaali.nadhir@yahoo.fr

مخبر اللغة وفن التواصل

تاريخ الاستلام: 2024/07/24 تاريخ القبول: 2024/11/04 تاريخ النشر: 2025/01/31

ملخص:

تهدف الدراسة إلى التعريف بنظرية أرسطو في الجزئية الخاصة بالحجاج الذي قسمه إلى أنواع، وأثرنا اختيار نوعين في هذه الدراسة: جدلي وخطابي؛ الأول يُعنى بالتحاش والفلسفي والاستدلالي، بينما يسعى الثاني إلى إقناع الجمهور بتأسيس القيم وتنوع الحجج حسب طبيعة الخطاب، من أجل الكشف عن التباين المنهجي بين النوعين رغم التقائهما في الأسلوب الحجاجي.

وقد توصلت الدراسة إلى عديد النتائج منها: أنّ هذا التمييز لم يكن شكليا فقط، فقد تبين أن الحجاج الجدلي والخطابي، كلاهما ينطلقان من بؤرة الخلاف، فيسعى الأول للتأثير والثاني للإقناع، كما أن للحجاج الجدلي استراتيجية استدلالية يعتمد عليها في تناول الحجج، مخالفة لتلك التي يعتمد عليها الحجاج الخطابي في استعمال الحجج التي يستعملها وفق أنواع الخطاب المختلفة.

كلمات مفتاحية: الحجاج، الجدل، الخطابة، الحجاج الجدلي، الحجاج الخطابي.

Abstract:

The study aims to define Aristotle's theory on the specific aspect of argumentation, which he divided into types. Two types were chosen for this study: dialectical and rhetorical. The former focuses on

philosophical and inferential discussion, while the latter seeks to persuade the audience by establishing values and diversifying arguments according to the nature of the discourse, in order to reveal the methodological divergence between the two types, despite their convergence in the argumentative style.

The study found that this distinction was not merely formal, as both dialectical and rhetorical argumentation depart from the focal point of disagreement - the former seeking to influence, the latter to persuade. Dialectical argumentation also has a different inferential strategy than the one employed by rhetorical argumentation in using arguments according to the various types of discourse.

Keywords: Argumentation, Dialectic, Rhetoric, Dialectical Argumentation, Oratorical Argumentation.

1. مقدمة :

للوصول إلى أن يفتنح شخص أو مجموعة أشخاص بعقيدة أو رأي، أو أن يُغيّر فكرة بأخرى، فليس من قبيل الصدفة أو العشوائية، بل إن الأمر قائم على نظرية مُحكمة تُعتمد على ترسانة من الأدلة والحجج والمعاملات اللغوية الاستدلالية الدقيقة، هذه العملية تتطلب استراتيجيات مُقننة ومعرفة عميقة بآليات العملية الحجاجية وأساليبها، أين يُبنى فيها الخطاب بشكل منهجي مدروس لضمان تحقيق التأثير والإقناع، كما يتطلب ذلك فهماً دقيقاً للجمهور أو الطرف المُستهدف، ومعرفة مُسبقة بالاعتراضات والإنفعالات المُحتَملة، وتقديم ردود فعّالة عليها، يتمّ كلّ هذا من خلال هذ النهج المُحكّم الذي أرسى قواعده وأسسه المتين "أرسطو".

قد خصّ هذا الفيلسوف اليوناني مجال الحجاج باهتمام بالغ، فدقّق فيه رأيه وأعمل فيه فكره، مُقدِّماً تحليلات عميقة ونظريات مُتنوّعة دقيقة؛ تُهدف إلى فهم وتطويع أساليب وأدوات الإقناع والتأثير، وهو ما يتّضح في تمييزه بين أمور حجاجية دقيقة منها "الجدل والخطابة"، اللذان يُشكلان نوعين من الحجاج، فالأول يتطلب براعة في النقاش الفلسفي للوصول إلى الحقيقة، وأمّا الآخر فيهدف إلى التأثير على الجمهور العام عبر خطب مُقننة تُعتمد أساليباً وحججاً بلاغية.

- انطلاقاً من هذا المُستهل، سنطرح إشكاليّتين نحاول من خلالها رسم صورة تاريخية وصفيّة نتبّع خلالها الحجاج، فنطرح الإشكاليّتين التّاليتين:
- ماهي ملامح الحجاج في فلسفة أرسطو في كلّ من الجدل والخطابة؟
 - ماهي أوجه التّوافق والاختلاف بين هذين الجنسين الحجاجيين؟

وللوصول إلى الإجابة عن هاتين الإشكاليّتين، لأبدّ من تساؤلات فرعية تُثري دراستنا، كتساؤلنا: ما مفهوم الحجاج؟ وما هي ملامحه قبل حلوله في فلسفة أرسطو؟ وكيف تتأوله أرسطو بالدراسة والتحليل؟ وما هي سمات كلّ من الحجاج الجدلي والخطابي؟ ولإجابة مُمنهجة، ودراسة مُحكمة مُتسلسلة، كانت هذه هي المحاور المتبعة في هذه الورقة البحثية:

- مفهوم الحجاج.
- فلسفة أرسطو الحجاجية.
- موقف أرسطو من الجدل والخطابة.
- المُقارنة بين الحجاج الجدلي والخطابي.

والهدف من هذه التّساؤلات التي تبنّتها هذه الدّراسة الوصفية التحليلية والمقارنة المُعتمدة على منهجين اثنين "المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المُقارن"، هو تصحيح الاعتقاد السائد عن الحجاج أنّه مجرد كلام محل اختلاف، فيجب إذن فهم الفروقات الدّقيقة بين نوعيه، وتحديد الخصائص الأساسية لِكليهما، وتقييم فعالية الحجاج، وتعميق المعرفة به زمن الفلسفة الأرسطية.

2. مفهوم الحجاج:

تشير المعاجم العربيّة في تنوّعها إلى أنّ الحجاج هو استعمال الحجة موضع خصام واختلاف عند غلبة أحد الطرفين على الآخر، فعلى سبيل ما أورده ابن منظور في اللسان في مادة (حجج) قوله: (والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دُفِعَ به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جِدَل، والتّحاج: التّخاصم، وجمع الحجة: حُجج وحجاج، وحاجه حاجة وحجاجا: نازعه الحجة، وحجّه يحجّه حجاً: غلبه على حجّته، وفي الحديث: فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجة، واحتجّ بالشيء: اتّخذ حجة، قال الأزهري: إنّما سمّيت حجة لأنّها تُحجّ أي تقصد لأنّ القصد لها وإليها، وكذلك محجة الطريق هي المقصد والمسلك، وفي حديث الدجال: إنّ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه أي مُحاجّه ومُغالبه بإظهار الحجة عليه، والحجة: الدّليل والبرهان، يُقال: حاجّته فأنا محاجّ وحجيج، فعيل بمعنى فاعل، ومنه حديث معاوية: فجعلت أحجّ خصمي أي أغلبه بالحجة) (ابن منظور، صفحة 228) فهو يُعتبر أنّ الحجاج جدل، وهو ما يكون في الخصام والغلبة والظفر بالحجة والدّليل والبرهان عند التّخاصم والنّزاع، وإنّ مجمل ما اتّفقت عليه المعاجم العربيّة المختلفة

تَصَبَّ في هَذَا الْمَعْنَى الْجَدَلِي، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى نَفْسُهُ تَأْتِي الْمَعَاجِمُ الْمَعَاصِرَةُ لثَدْلِي بِدَلْوَاهَا فِي الدَّلَالَةِ نَفْسَهَا، فَكَمَا جَاءَ فِي مَعْجَمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ (حَاجَّ الشَّخْصُ: أَقَامَ الْحُجَّةَ وَالدَّلِيلَ لِیَثْبِتَ صَحَّةَ أَمْرٍ، بَرَهَنَ بِالْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ لِیَقْنَعَ الْآخَرِينَ [...] حَاجَّ الشَّخْصُ: جَادَلَهُ وَخَاصَمَهُ، نَازَعَهُ بِالْحُجَّةِ، نَازَرَهُ)(أحمد مختار عمر وآخرون، 2008، صفحة 445)

وَعَبْرَ بَعِيدٍ عَنْ هَذِهِ الْوَجْهَةِ الْمَعْجَمِيَّةِ، نَجِدُهُ فِي الْإِصْطِلَاحِ أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى عِلَاقَةِ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَحَاوَلَةِ إِقْنَاعِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا الْآخَرُ، إِنَّ الْحِجَاجَ مُصْطَلَحٌ لِّتَيْنِ طَبِيعَ مَرْنٍ حَيْثُمَا وَجَدَ اتَّخَذَ نَمَطَ الْإِتِّجَاهِ الْفِكْرِيِّ الْمَعْرِفِيِّ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ، لِهَذَا السَّبَبِ تَتَبَيَّنُ تَعْرِيفَاتُ الْحِجَاجِ وَتَتَنَوَّعُ حَسَبَ تَوَجُّهَاتِ الْبَاحِثِينَ وَإِخْتِصَاصَاتِهِمْ، فَكَلَّ يَعْرِفُهُ بِنَاءً عَلَى خَلْفِيَّتِهِ الْمَعْرِفِيَّةِ الْخَاصَّةِ (حِينَ نَقَارِبُ مَفْهُومَ الْحِجَاجِ لِأَوَّلِ وَهَلَةِ، يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ مَفْهُومٌ غَائِمٌ يَصْعُبُ حَصْرُهُ وَتَحْدِيدُهُ دَاخِلَ رُكَّامِ هَائِلٍ مِنَ الْكِتَابَاتِ وَالْمَرْجِعَاتِ النَّظَرِيَّةِ، إِذْ نَجِدُهُ مُتَوَاتِرًا فِي الْأَدْبِيَّاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَالْمَنْطِقِيَّةِ وَبَلَاغِيَّةِ النَّقْلِيَّةِ، وَفِي الدِّرَاسَاتِ الْقَانُونِيَّةِ وَالْمَقَارِبَاتِ اللَّسَانِيَّةِ وَالنَّفْسَانِيَّةِ وَالْخَطَابِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ)(طروس، 2005، صفحة 6)

فَلَكُونُهُ أَلِيَّةً لُغَوِيَّةً تَوَاصُلِيَّةً لَا بُدَّ أَنَّهُ يَتَعَالَقُ مَعَ مَجَالِي التَّحَاوُرِ وَالتَّخَاطُبِ، كَدِفَاعٍ عَنْ رَأْيٍ وَإِقْنَاعٍ لِفِكْرَةٍ، وَتَعْبِيرٍ تَوَجُّهُ فِكْرِيٍّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَوَجُّهَاتِ الْحَدِيثِ الْيَوْمِيِّ، يُعْرِفُهُ طَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (أَنَّهُ فَعَالِيَّةٌ تَدَاوُلِيَّةٌ جَدَلِيَّةٌ، فَهُوَ تَدَاوُلِيٌّ لِأَنَّهُ طَابَعَهُ الْفِكْرِيُّ مَقَامِي وَاجْتِمَاعِي، إِذْ يَأْخُذُ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ مُقْتَضِيَّاتِ الْحَالِ مِنْ مَعَارِفٍ مُشْتَرَكَةٍ وَمَطَالِبِ إِخْبَارِيَّةٍ وَتَوَجُّهَاتٍ ظَرْفِيَّةٍ، وَيَهْدَفُ إِلَى الْإِشْتِرَاقِ جَمَاعِيًّا فِي إِثْنَاءِ مَعْرِفَةِ إِثْنَاءِ مُوجَّهًا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَهُوَ أَيْضًا جَدَلِيٌّ لِأَنَّ هَدَفَهُ إِقْنَاعِيٍّ)(طَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، 2000، صفحة 65) لِيَكُونَ الْحِجَاجُ ذُو خَاصِيَّتَيْنِ أُسَاسِيَّتَيْنِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ تَدَاوُلِيٌّ ذُو طَابَعٍ فِكْرِيٍّ مَقَامِيٍّ مُتَعَلِّقٍ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَاجْتِمَاعِيٍّ مُرْتَبِطٍ بِالْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَدَلِيٌّ إِقْنَاعِيٌّ لِفِكْرَةٍ أَوْ قَضِيَّةٍ مِنْ خِلَالِ الْخِطَابِ الْجَدَلِيِّ الْمُسْتَنَدِ إِلَى الْأَدْلَةِ وَالْحُجَجِ الْمَنْطِقِيَّةِ، مَا يُوَكِّدُ عَلَى ضَرُورَةِ الطَّابَعِ الْاجْتِمَاعِيِّ التَّوَاصُلِيِّ لِلْحِجَاجِ، فَلَا يُمْكِنُ لِلْحِجَاجِ أَنْ يَكُونَ مِنْ طَرَفٍ وَاحِدٍ لِلْعَدَمِ، بَلْ مِنْ صَاحِبِ فِكْرَةٍ لِمَتَلَقَّ وَجِبَ إِقْنَاعُهُ بِهَا، فَمِنْهُ يَنْسَمُ بِصِفَةِ التَّدَاوُلِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَسْتَدْعِي وَتُؤَكِّدُ ضَرُورَةَ مُرَاعَاةِ مُقْتَضِيَّاتِ الْحَالِ الْجَامِعَةِ لِكُلِّ الْخَصَائِصِ الْكَلَامِيَّةِ وَالْمَقَامِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ لِكُلِّ مِنَ الْمُحَاجِّجِ وَالْمُحَاجَّجِ، وَبِذَلِكَ يُنْفَذُ الْحِجَاجُ ضِمْنَ إِطَارِ عِلَاقَةِ تَوَاصُلِيَّةٍ تَحَاوُرِيَّةٍ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، يَتَنَاولَانِ فِكْرَةً أَوْ قَضِيَّةً مَثَارَ خِلَافٍ بَيْنَهُمَا.

يُعْرِفُهُ جَمِيلُ حَمْدَاوِي (الْحِجَاجُ أَدَاةٌ لِمُنَاقَشَةِ الْأَفْكَارِ مَهْمَا كَانَتْ طَبِيعَتُهَا وَمَصْدَاقِيَّتُهَا وَغَدَا أَلِيَّةٌ مُهِمَّةٌ فِي مُحَاوَرَةِ الْأَطْرَافِ الْمَشَارِكَةِ فِي عَمَلِيَّةِ التَّوَاصُلِ، وَالْغَرَضُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ هُوَ التَّأْثِيرُ أَوْ الْإِقْنَاعُ أَوْ الْحَوَارُ، أَوْ مُنَاقَشَةُ الْأَرَءِ الْمَطْرُوحَةِ بِالنَّشْكِيكِ فِي صِحَّتِهَا أَوْ مُعَارَضَتِهَا أَوْ تَأْيِيدِهَا أَوْ تَنْبِيْئِهَا، أَوْ اقْتِرَاحِ أَفْكَارٍ أُخْرَى لِلْوُصُولِ إِلَى جَوَابٍ مُقْنَعٍ وَشَافٍ)(حَمْدَاوِي، 2014، صفحة 9) فَلَنْ تَقُومَ لِلْحِجَاجِ قَائِمَةٌ

إلا بوجود رأي مطروح محلّ خلاف أو غير مُتفق عليه، فبعد الأخذ والرّد والنقاش لأبدٍ من وجود تأثير يحل محل أحد المتحاجين أو كلاهما، سواء قبولاً أو رفضاً أو محايدة، المهم الوصول إلى نتيجة، لأن الغاية المتوخاة من الحجاج هي (تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها) (العزاوي، 2006، صفحة 16) 6 وذلك باعتماد ترسانة من الأدلة والحجج لإثبات صدق الطرح، بانتهاج نهج قائم على عمليات وآليات معينة في هذا الاتصال، للوصول إلى نقطة الاستمالة والإقناع والتأثير، وإلا يُعتبر الحوار القائم بين المتحاجين ما هو إلا سفسطة ولغو.

إنّ الحجاج لا يُعدّ مجرد تداول فكرة بغية الاقتناع بها، وإنما عدّ نظرية بمبادئ واستراتيجيات تنبأها مدارس لسانية كبرى، لذا كان لهذا المكون اللساني، اللغوي، التداولي، البلاغي، انطلاقة تاريخية بدأت في الظهور من فترة محدّدة، وكما لا يخفى على علم العارفين أنّه انبثق من رحم الفلسفة اليونانية أين يُعدّ أرسطو الأب الروحي لهذا الفن، وهو ما سيقوم هذا الطرح بتوضيحه.

3. الحجاج في الفلسفة الأرسطية:

تعود دراسة الحجاج — شأنها شأن العديد من المباحث الإنسانية — إلى العصور القديمة، وقد بدأ البحث في موضوع الحجاج منذ بداية الحضارة اليونانية يقرّون قبل الميلاد، أين كان مفهومه بادئ الأمر مرتبطاً بحقول البلاغة والخطابة مرتبطين مرات آخر بالمناظرة والجدل، فقد تعرّض له عديد الفلاسفة اليونان وعلى رأسهم السوفسطائيون وأفلاطون وأرسطو، ووضعوا له القواعد الأساسية الأولى، لتصبح بعدُ المرجع الأول لدراسة هذه الفاعلية الخطابية التداولية.

الجهود الأولى التي جاء بها السوفسطائيون كانت على شكل خطابات كوسيلة وحيدة للمطالبة بالحقوق والدفاع عن الحريات المسلوبة، لكن كانت كنوع من فرض الآراء وإرغامها على المجتمع الأثيني آنذاك، عن طريق الاستهواء والتأثير في المشاعر خداعاً، ما جعل الحاجة إلى الخطاب والحجاج تبرز بشكل رئيسي خاصة في السياق السياسي، فقد كان الوضع السائد قبل الميلاد يُوافق انتهاء الحروب الميدية وانتصار اليونان على الفرس، فقد (اشتهر السوفسطائيون، وهم حسب تسميتهم محترفو الذكاء والمعرفة وأصحاب الحكمة والكفاءة المتميزة في كلّ شيء باعتمادهم سلطة الخطابة لنشر آرائهم وإتقان الحجاج لها) (عبد اللطيف، 1434 - 2013، صفحة 29) متمرسون جداً في الكلام والخطابة حيث (إنّ منفعة القول تتحدّد عند السوفسطائيين بقدرته على خلق الاستلذاذ لدى المقول إليه واستمالته، لذلك اعتمدوا توجيه الحجاج وفق الإمكانيات الواسعة التي تُتيحها آفاق القول ومقاصده) (عبد اللطيف، 1434 - 2013، صفحة 30) فهم يؤمنون بقوة القول وسلطته، فعندما يستلذ المتلقي الكلام الموجه إليه ويستمتع

بأسلوبه ودلالته يكون الخطاب قد نجح في التأثير والإقناع، ولا يتم تحقيق ذلك إلا من خلال معرفة المرسل والمتلقي لأساليب الإقناع والتأثير أثناء صياغة الكلام وتدعيمه بالحجج لذلك (لم ينظر السوفسطائيون إلى الخطابة بوجه عام على أنها جدل أو وسيلة للتأثير فحسب، بل وأيضا على أنها العلم الحقيقي، فجورجياس يقول إن الخطابة هي الفن والفن الحقيقي، وليست أداة للتأثير فحسب، وعلى يدي جورجياس ترتفع الخطابة إلى مرتبة الفن الحقيقي، وإلى مرتبة الأسلوب الصحيح في التفكير، وتبعاً لهذا يقول إن المعرفة الحقيقية هي تلك المتمثلة في الخطابة) (بدوي، دت، صفحة 172) لما كانت الخطابة هي الوسيلة الوحيدة للمطالبة بالحقوق والإقناع عن المستضعفين، قد ارتقت إلى رتبة الفن والفكر الصائب، والمعرفة الحقة، التي يسعى الفيلسوف إليها.

ومن بعدهم يأتي أفلاطون ناقداً ساخطاً على موقفهم من الخطابة، فاتهمهم بالمغالطة والإغواء واستهواء الناس بأهواء خاطئة بعيدة تماماً عن الواقع الذي يرونها كما تملي عليهم أنفسهم وتشتته، فهي بذلك تكتسي طابعاً شخصياً ذاتياً تنقد للموضوعية والمعرفة الحقة، كما تهتم عندهم بالإقناع من أجل الإقناع لا من أجل تقديم حقيقة ومعرفة واقعية، بهذا (دعا إلى قيام نوع من الخطابة الفلسفية التي لا تقتنع بابهام الجمهور تبعاً لأهواء الخطباء بل تلتزم التعبير عن الحقيقة والتوجيه إلى الخير) (عبد اللطيف، 1434 - 2013، صفحة 41)

انطلاقاً من النظرة الفلسفية الخام لأفلاطون عن العالم، بعدّ البلاغة الحقيقة هي الفلسفة ما جعله يُقيد الخطيب بمجموعة قيود (يلزم الخطيب اعتماد الفلسفة، إلا أن هذا الشرط الأساسي يبقى غير كاف، إذ على الخطيب فضلاً عن ذلك الاستعانة بمنهج ينظم به فكره، وهذا المنهج حدده أفلاطون في طريقة الجدل، والجدل عند أفلاطون منتهى العلم وكمال المعرفة وهو الوسيلة لبلوغ الحقيقة) (عبد اللطيف، 1434 - 2013، صفحة 44) وهذا تقادياً لمنهج السوفسطائيين في الخطابة، حيث كانوا يعتمدون على الحشد والتجمهر، الذي يؤدي في النهاية إلى الإغراء والإقناع دون إعطاء أي فرصة للنقاش أو الجدل أو المناظرة، ما دفعه إلى الإعلان عن شكل بلاغي أكثر منطقية وعدلاً وبالأخص أكثر حجة ونفعاً (وهو ذلك الذي يقوم على الحوار الثنائي ويكون فيه المتخاطبان نديين ومختصين في المجال المطروح للمناقشة، وحيث لا يحتكم إلا إلى المعرفة القابلة للتفنيد في أية لحظة، ويتجنب فيها أي نوع من أنواع السلطة القهرية، بمعنى أن المعرفة والتماس الحقيقة هي المقياس الوحيد الذي يلتزم إليه) (الولي، 2005، صفحة 350) فأفلاطون معادٍ تماماً للخطاب السلطوي القائم على التعبئة لا المنفعة، فلا بد من النقاش بين طرفين يشتركان في معرفة وفي مستوى فكري معين، حتى يتم الجدل والإقناع، للوصول إلى الحقيقة المنشودة، وعليه فإن البلاغة الأفلاطونية هي البحث عن الحقيقة، إنها (بلاغة الحق، وهي البلاغة الحقيقة، البلاغة الفلسفية، أو أيضاً الجدلية، وموضوعها الحقيقة) (رولان بارت، صفحة 17)

ومن ثم يعلن عن بداية الحجاج الحقيقية مع أرسطو طاليس بداية قوية مكتملة، وذلك من خلال جهوده وموقفه المخالف لسابقيه "السوفسطائيون وأفلاطون" حيث يرى أن البلاغة أداة يمكن استخدامها بطرق مختلفة بناء على نية المستخدم، فهو لم يعتبرها أداة أخلاقية بحتة بل جعلها غير مبالية بالأخلاق؛ أي أنها لا تحمل في ذاتها حسا أخلاقيا وليست معادية لها، إذن فالبلاغة حسبه تضع المسؤولية الأخلاقية على المستخدم وتترك له أن يكون واعيا بمسؤولياته تجاه المجتمع، كما يراها أيضا أداة لتحقيق أهداف مختلفة سواء كانت خيرا أم شرا، عادلة أم ظالمة، كما جعلها تقنية حاجية للأمور القابلة للنقاش، وليس للحقيقة المطلقة مما يسمح بتعدد الآراء، فهذا الفصل عن الأخلاق والحقيقة حرّر البلاغة وسمح لها أن تتطور كأداة شرعية في النقاشات العامة والمناظرات داخل المجتمع، مع تحميل المستخدم مسؤولية الاستخدام الصحيح لها. (فيليب بروتون؛ جيل جوتيه، 2011، صفحة 28) بذلك فقد ردّ الخطابة إلى عمق المجتمع ولم تبق حكرًا على فئة دون أخرى.

أرسطو أسال حبره انتقادا لكل من السوفسطائيين بمغالطاتهم والإيقاع في الخطأ والتبكيث... إلخ، كما انتقد معلمه أفلاطون الذي يعتمد على المثالية المبالغ فيها، وفصله بين الجدل والخطابة... إلخ، ليختلف بذلك عن سابقيه وينشأ له موقفا يعد المرجع الأول والأساس المعتمد في كلّ الدراسات الحجاجية، وذلك ضمن مشروعه الضخم المسمى بـ "الأورغانون الحجاجي" الذي يعد تقدّما عاما شاملا للمنطق، بمؤلفاته العديدة وهي: (إيساغوجي "المدخل" – كاتيغوريان "المقولات" – باري أرمينياس "العبارة" – أنالوتيك الأولى "التحليلات الأولى، القياس" – أنالوتيك الثانية "التحليلات الثانية، البرهان" – توبيكا "الجدل" – سوفستيك "السفسطة" – ريتوريكا "الخطابة" – بوييتيك "الشعرية") (محمد الأمين الطلبة، 2008، صفحة 31) فضمن هذه المؤلفات العديدة، قد تأسس موقفه من الحجاج باعتباره قاسما مشتركا تتجاذبه قوتان (من زاويتين متقابلتين: ينظر إليه من الزاوية البلاغية فيربطه بالجوانب المتعلقة بالإقناع "كتاب البلاغة"، ويتناوله من الزاوية الجدلية فيعتبره عملية تفكير تتم في بنية حوارية (طروس، 2005، صفحة 15). ليتنوع بذلك مفهوم الحجاج عنده حسب السياق الذي يورده فيه، فوجد أن الحجاج يجمع بين الجدل والخطابة، فالجدل يعتمد على الاستدلال والاستقراء والقياس لتحقيق الإقناع العقلي دون تدخل من المخاطب، بينما تعتمد الخطابة على استمالة المتلقي وإثارة عواطفه باستخدام الكلمات المؤثرة، يرى أرسطو أن للخطابة دورا إقناعيا عقليا لا يقل أهمية عن الجدل، حيث تتكامل بين الإقناع العقلي والتأثير النفسي، فتهدف الخطابة عند أرسطو إلى بناء قول مقنع في القضايا الخلافية القابلة للنقاش، مما يظهر العلاقة بين طرفين تبني على اللغة والخطاب، حيث يسعى أحدهما للتأثير في الآخر وتوجيه فعله أو تغيير معتقداته، لذلك فإنّ الحجاج عند أرسطو لا يقتصر على الإقناع فقط، بل يشمل التأثير في المتلقي لإقناعه، فنرى أنّ خطابة أرسطو قد أخذت من السوفسطائيين من حيث قدرتها على التأثير في المتلقي، لكنها في

المقابل تميزت بمخالفتها إياها لعدم احتوائها على المغالطات، وأخذت من أفلاطون الجدل المبني على الإقناع العقلي، ما يجعلها تَنفَرِدُ تَميِزًا كنوع ثالث من الخطابة موجّهة للعمامة تجمع بين الجدل والخطابة (الصادق، 2018، صفحة 5604) وهذا الذي جاء في مستهل كتاب الخطابة أين أكد أرسطو على تجاوب كل من الخطابة والجدل وتداخلهما دون تباعدهما وتباينهما، فيقول (إن الريطورية [أي الخطابة] ترجع على الديالكتيكية [أي الجدل] وكلتاها توجد من أجل شيء واحد [أي الإقناع]) (أرسطوطاليس، 1997، صفحة 3) إنهما قوتان للإقناع، والإقناع أساس الحجاج، غير أن تناول الحجة في الأول تختلف عنه في الثاني.

4. الحجاج الجدلي:

تجدر الإشارة إلى حضور الجدل في المعاجم العربية، فهو يدل في معظمها على الخصومة والغلبة في الرأي، كما أورده ابن فارس قائلًا (الجم والادل واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام) (أحمد ابن فارس، 1979، صفحة 433) في حين يرى ابن منظور أن الجدل هو (اللد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالا، ورجل جَدِلَ ومَجْدَل ومَجْدَال: شديد الجدل، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته، ورجل جَدِل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالا، والاسم: الجدل، وهو شدة الخصومة) (ابن منظور، صفحة 105) فالجدل في ميزته هو الاختلاف في وجهة نظر مع محاولة غلبة طرف على آخر.

ولا يكاد يخرج عن هذا المعنى في وجهته الاصطلاحية أيضا، برغم استعماله في كل الحقول المعرفية، ولقد أفاضت كتب التراث العربي في استعمال هذا المصطلح، منها ما جاء به الجرجاني في مؤلفه الشهير "التعريفات" قائلًا (الجدل وهو القياس من المشهورات والمسلّمات والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدّمات البرهان [ويضيف] الجدل رفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة) (الجرجاني، 1958، صفحة 78) يؤكد الجرجاني أن الجدل نقاش ومجابهة ومواجهة الخصم، يسعى كل طرف لإثبات صحة موقفه وإبطال موقف الطرف الآخر، باعتماد القياس والاستدلالات المنطقية، أين تُبنى الحجج على مقدمات معلومة لدى الجميع كمسلّمات يُنطلق منها وصولا إلى نتائج مُستخلصة من تلك المقدمات، وهي ما يجب على المجادل إقناع الخصم بها وقبولها، وغير بعيد عن هذه الدلالة، نجد في مجال أصول الفقه تعريف محمد الحنبلي في مؤلفه "العدة في أصول الفقه" فيقول (تردد الكلام بين اثنين، إذا قصد كل واحد منهما إحكام قوله ليدفع به قول صاحبه) (الحنبلي، 1993، صفحة 85)

وعندما نعود إلى أرسطو نجد الجدل يتضح في جهوده المجموعة في مؤلفه "كتاب الطوبيقا"، والذي يحتوي مقالات ثمانية، لكل واحدة منها مواضيع معدودات،

تناول فيها كل ما يتعلق بالجدل، كمفهومه وعناصره، والمسائل الجدلية، والقضايا واختبارها، والحجج ومصادرها، المعاني الغامضة، التعريف ومشكلاته، الحدود، المحمولات، المقدمات والنتائج في الاستقراء، الحجج الجدلية، أخطاء المجادلة، وضوح المجادلة وفسادها، التدريب على الجدل وممارسته... إلخ، والكثير من الإشارات لمختلف المواضيع التي أسس بها نظرية الجدل.

كما أن كتاب "السوفسطيكا" هو مؤلف في الجدل أيضا، حاول فيه تصحيح الأخطاء التي وقع فيها السوفسطائيون وذلك بتقديم المنهجية الصحيحة والدقيقة للجدل، فهناك من اعتبره بمثابة المقالة التاسعة من كتاب الجدل، للصلة الكبيرة بينهما في تناول الآراء المتعلقة بالجدل، إن كتاب "السوفسطيكا" مقالة من أربعة وثلاثين فصلا، منها على سبيل الذكر لا الحصر: تمييز عام للجدل الحقيقي الواضح وتنفيذه، أنواع الحجج في الحوار، أغراض المجادلة السوفسطائية، المغالطات وأسباب حدوثها وكيفية إيقاعها الخصم في التناقض، الحجج اللفظية والعقلية، المهارة وكيفية اصطناعها، ترتيب الحجج من حيث الأكثر تعقيدا، تقديم حلول للمغالطات اللغوية وغير اللغوية... إلخ (فتحي عبد الله، الجدل بين أرسطو وكنط، 1995، الصفحات 66-78) شذرات من جهوده الجدلية:

1.4 موقفه من الجدل: إن معنى الجدل الذي جاء به أرسطو هو أنه فن الاستدلال بطرح الحجج المؤيدة أو المعارضة لمسألة معينة مع تجنب التناقض، بهدف الدفاع عن فكرة معينة سواء كانت إيجابية أو سلبية، لا يعتمد الجدل على حقائق مطلقة، لأن الحقائق الصادقة اليقينية لا يمكن أن تنتج نتائج متناقضة في وقت واحد، لذلك فالجدل يعتمد على مقدمات محتملة وهي آراء شائعة ومقبولة لدى الجمهور والعلماء، والذي دفع أرسطو لوضع هذا المنهج الجدلي؛ هو تلك المناقشات التي كانت تدور بين الأثينيين كلعبة يضع فيها الواحد منهم عبارتين ثم يقوم باستنتاج نتيجة واحدة منهما، لكن كان هناك بعض المتجادلين غشاشين وغير صادقين، يستعملون حدودا مبهمة المعاني للتحايل عبر الطرف الآخر ومراوغته، ما دفعه لردع هذه المغالطات، وضبط الجدل على طريقة علمية صحيحة أول أمره مقدمات معروفة، شائعة، معلومة. (النشار، 1995، الصفحات 49,50)

2.4 موقفه من الاستقراء: أخبرنا أرسطو أن الاستقراء هو الانتقال من الأمور الجزئية إلى تعميمات كلية، إنه طريقة لإثبات صحة قضية عامة من خلال جمع أمثلة جزئية تؤيدها، بدلا من الاعتماد على الاستنتاج المنطقي، بمعنى آخر فالاستقراء هو عملية التوصل إلى حكم عام عبر التحقق التجريبي من صحة هذا الحكم في جميع الحالات الفردية المرتبطة به، وقد قسم الاستقراء إلى أنواع ثلاثة، وهي: الاستقراء التام، والاستقراء الحدسي، والاستقراء الجدلي، هذه الأنواع ذكرها في مواضع ثلاثة من كتبه.

فالأول "الاستقراء التام" أورده في "الطوبيقا" أين يعرفه بأنه الانتقال من الجزئيات إلى الكليات، ومن المعلوم إلى المجهول.

والثاني "الاستقراء الحدسي" أورده في "التحليلات الأولى" وفيه يربطه بين معالجته للاستقراء ونظريته للقياس، أين اعتبر الاستقراء هنا أنه انتقال من خلال إحصاء جميع الحالات، ويطلق عليه أيضا القياس التلخيصي.

والثالث "الاستقراء الجدلي" فأورده في "التحليلات الثانية" وهو الذي يكشف لنا عن الكلي المندرج والمتضمن في الجزئي الظاهر المعلوم.

إن هذا النوع الأخير الذي يعتمد في الجدول يقوم أساسا على جمع الآراء المتعلقة بالمسألة المطروحة، ومن ثم استنتاج النتائج المترتبة على كل رأي ومقارنتها ببعضها البعض أو بمعلومات يقينية متفق عليها، هذا النهج يساعد على كشف الصعوبات أو الشكوك التي قد تنشأ، بعد ذلك تتم محاولة حل هذه الشكوك من خلال البحث في الآراء المتعارضة واستخدام ما هو متفق عليه بين الناس وما هو مشهور بينهم لتحديد ماهيات الأشياء، فبهذه الطريقة يمكن للإنسان أن يكمل النقص الذي قد يجده في الاستقراء الأولي (فتحي عبد الله و ، الجدول بين أرسطو وكنط، 1995، الصفحات 114-116)

فالقياس في توجهه الجدلي يمثل نوعا من التفكير الاستدلالي الذي يعتمد على تقديم الحجج والنقاشات المقنعة بدلا من البراهين الصارمة، يُعتمد هذا الأسلوب في تلك المحاورات والنقاشات الجدلية، أين تُستخدم فيها الحجج لدعم أو دحض وجهات النظر المختلفة.

وفي سياق هذا الاستقراء الجدلي، لا تعتبر الاستنتاجات ملزمة إلزاما صارما، بل تعتمد على الاحتمالات والافتراضات التي تعد معقولة ومقبولة ضمن إطار النقاش، لذلك فهو الاستدلال المعتمد لتقديم حجج تهدف إلى تفسير الموضوعات المعقدة بطرق تسهل على الأفراد فهمها.

3.4 موقفه من القياس: إن نظرية القياس هي ركيزة المنطق والفكر الأرسطي، والتي تنسب إليه كاملة، وهي التي لا وجود لتعارض بينها وبين ما وصلت إليه النظريات الاستدلالية الحديثة.

يُشير إلى أن القياس نوع من الاستدلال ننتقل فيه من قضايا عامة كلية إلى قضايا خاصة جزئية، ميّز أرسطو بين نوعين من القياس، أما أحدهما فقياس برهاني، وأما الآخر فقياس جدلي، وذلك انطلاقا من المقدمات المستخدمة في كليهما، فبالنسبة للقياس البرهاني تستخدم المقدمات التي تتمتع باليقين والصدق الكامل، والأهم أنها تكون بديهية مثبتة قولا بالدليل القاطع، أما فيما يخص القياس الجدلي فمقدماته هي تلك التي يعتقدها معظم الناس والفلاسفة والمشهورون ومنهم الذين يتمتعون أيضا بقدر عال من الذكاء (النشار، 1995، صفحة 51)

في بداية أبحاث أرسطو حول الاستدلال ركز على دراسة القياس الجدلي من خلال كتابه "الطوبيقا" أو "المواضع"، في هذا الكتاب يتناول أرسطو الجدول كطريقة

للمناقش تعتمد تقديم حجج تهدف إلى تحقيق توافق حول المقدمات بين المتحاورين، فيصفه أنه علم يهدف إلى تدعيم المواقف بدلا من التفكير العميق في المعرفة البحتة، الهدف الرئيسي هنا هو البحث عن المقدمات التي يمكن للخصم قبولها، بحيث يمكن إقناعه بالنتائج التي نسعى إلى إثباتها.

وفقا لأرسطو تكمن جودة الجدل في قدرة المجادل على استنباط استنتاجاته من مقدمات محتملة بطريقة فعالة، هذه الفكرة تتجسد في الفصل الثالث من الباب الأول من "الطوبيقا" أين يبين أن الكفاءة في الجدل تكمن في الاستفادة من أفضل العناصر المتاحة لتحقيق الأهداف وإثبات الحجج المنطقية.

كما نرى في الفصل الحادي عشر من الباب السابع من نفس الكتاب، يطبق أرسطو هذا المبدأ من خلال توضيح كيف يمكن أن يكون الجدل فعالا عبر الاعتماد على مقدمات شائعة ومقبولة، بمعنى آخر يصف أرسطو أن القياس الجدلي هو استدلال يقوم على مقدمات ذات قبول عام بين الناس.

يستعرض في "الطوبيقا" تصنيفا رباعيا للحجج يُظهر تنوعا مثيرا في الأنواع المختلفة للحجج، حيث يهدف كل منها إلى العثور على مقدمات محتملة تبدأ من النتائج التي نريد الوصول إليها، هذا التصنيف يعكس جانبا من مقاربة أرسطو في "الطوبيقا" التي تركز على كيفية الوصول إلى مقدمات تدعم النتائج المرجوة، ويشكل تمهيدا لفهم أعمق لمبادئ الاستدلال في "التحليلات الأولى" ويمهد الطريق لدراسة الاستدلال البرهاني في "التحليلات الثانية" (فتحي عبد الله ، الجدل بين أرسطو وكنط، 1995، الصفحات 120,121)

وعليه فالقياس الجدلي هو استدلال قائم بالضرورة على الحجة والمناقشة، مع محاولة المتجادلين التوافق على تلك المقدمات التي ينطلقون منها في البداية.

5. الحجاج الخطابي:

هيكل كتاب الخطابة Rhetorica "الريطوريقا كما يُعرف عند العرب" لأرسطو: قسّم أرسطو كتابه إلى ثلاث أجزاء كبرى أو مقالات كما اصطلح عليها، لكل جزء منها مواضيع متنوعة ومتداخلة، وهي كما يلي ذكره:

المقالة الأولى: فمن خمسة عشر فصلا تتكون، تحتوي على النظريات العامة للخطابة؛ كمفهومها وأنواعها والغاية منها وعلاقتها بالجدل، والأغراض المختلفة لكل نوع والمواضيع المتعلقة بها.

أما المقالة الثانية: فتتكون من ستّة وعشرين فصلا، تتجه إلى وسائل الإقناع والبلاغة، من خلال المواضيع المتنوعة بين إشارته إلى الطريقة الصحيحة الواجب على الخطيب تتبعها في التأثير على المخاطب -الحاكم خاصة-، وإشارته أيضا إلى الأنماط العاطفية والانفعالات وكيفية إثارة المشاعر المختلفة لدى الجمهور، وأشار أيضا إلى مفهوم الرأي وأنواعه واستخدامه، كما خص حيزا للتفكير والتفكير التي يقصد بها الاستدلال أو القياس الذي يهدف أساسا إلى الإقناع ولتعزيز قوة الحجة أكثر منه إلى البرهان.

وبالنسبة للمقالة الثالثة: فهي تتكون من تسعة عشر فصلا، خصّصها لأسلوب الخطابة وبنيتها، وما يندرج ضمنها من أساسيات وشروط كالأسلوب اللغوي وشروط سلامته من العبارات والوسائل والأداء والنبرة... إلخ، كما خص بالذكر بنية الخطاب وهيكلته وأهمية تنظيمه وترتيبه.

مختارات متفرقات من جهوده في الخطابة:

1.5 مفهوم للخطابة: يعرفها قائلا إنها (فالريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة) (أرسطوطاليس، 1997، صفحة 9) القدرة على سعيها لتحقيق الإقناع، الذي يكون نتيجة جهود متعمدة من المخاطب لتحقيق أقصى قدر من الإقناع ضمن الظروف والسياس المحددين، لكل موضوع من المواضيع أو قضية من القضايا، مستقلة حتى يكون الاهتمام منصبا عليها، فهي بذلك لا تشمل فقط الممارسة العامة، بل يجب عليها أيضا أن تكون موجهة نحو الأمور الفردية والتفاصيل الدقيقة لكل حالة وتقديم حجج تتناسب وخصوصية كل موضوع، ما يعكس فهمه الدقيق للخطابة واعتبارها فنا يتطلب مهارات خاصة وقدرة على التأثير من أجل الإقناع، وعملية معقدة مرتبة تحيط اهتماما بالقضايا المطروحة والطرف الآخر المستمع أو المخاطب، ومهارة في تشكيل الحجج المقنعة المتناسبة في كل موقف من المواقف المختلفة.

لتحقيق هذا وزع أرسطو الخطابة على ثلاث قوى تتحكم فيها، وحجاجيتها -أي الخطابة- مرهونة بتوفر هذه العناصر الثلاث، وهي:

الخطيب "الإيتوس": مجموع القيم الأخلاقية والفضائل الواجب على الخطيب التحلي بها، إنها الخصائص المتعلقة بشخصيته، والصورة التي يقدمها عن نفسه، وهي التي يُكوّن بها صورته في ذهن المتلقي، وعليه في كل الأحوال يظهر كفاء، شريفا، متفهما، شديدا، عنيفا، رحيماء، قاسيا، متكيفا مع المقام أو غيره.

الخطاب "اللوغوس": وهو الخطاب وما ينبني عليه من حجج وأدلة، والتي من واجبها التأثير في المخاطب أو المتلقي، بعبارة أخرى هو الحجاج المنطقي، المرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.

المستمع "الباتوس": وهي مظهرات ردادات الفعل والأثر الواقع على المتلقي للخطاب، والانفعالات التي يرغب الخطيب إثارتها فيه. (طروس، 2005، صفحة 18) هذه الأركان " الأخلاقية والعقلانية والعاطفية " يعتبرها أرسطو حججا وأدلة تدعم الخطابة وتضمن سيرها.

انتبه أرسطو إلى تصنيف المتلقين إلى فئات مختلفة، وهو تصنيف يعكس تنوع المواقف الاجتماعية التي يستخدم فيها الإقناع، فهو يعتبر المتلقي الغاية النهائية لكل خطاب، رغم أن كلّ خطاب يتكون من ثلاثة عناصر أساسية "المتكلم والموضوع والجمهور"، وبما أن هناك أنواعا من المتلقين فإن ذلك يستدعي وجود أنواع مختلفة

من الخطابات، وهما أشار إليه في مستهل كتابه "البلاغة"، فيتنوع المتلقون على حسب هذه الأنواع الخطابية:

الخطاب الاستشاري: وهو نوع من الخطابات الموجهة نحو المستقبل، يهدف إلى تشجيع المجموعات على اتخاذ قرارات تستند إلى مبادئ الديمقراطية، في هذا النوع من الخطابات يلجأ الخطيب إلى تقديم النصائح أو التحذيرات مع التركيز على ما هو نافع أو ضار وما هو أفضل أو أسوأ.

الخطاب القضائي "المشاجري": يتوجه ها النوع من الخطابات زمنيا إلى الماضي، ويتعلق بشكل مباشر ببيئة المحكمة، يهدف هذا النوع إلى توجيه الاتهامات أو الدفاع مستندا إلى مفاهيم العدل والظلم.

الخطاب القيمي "الاستدلالي": وهو ذلك النوع الذي يمتدح أو ينتقد الأفراد أو الأفكار في سياقات غير سياسية أو قضائية، يتميز هذا الخطاب بتركيزه على الحاضر، ويرتكز على قيم الجمال والقبح.

لما كانت الاختلافات الزمنية والمقامية والمقصدية بين أشكال الخطاب الثلاثة تركز على نوعية الحضور، فإنه ينبغي على الخطيب تنويع تقنياته الحجاجية والخطابية وفقا لكل نوع من الجمهور، فعند التوجه إلى جمهور عام لمناقشة قضايا مثل رفع الضرائب أو إعلان الحرب أو توقيع المعاهدات، يستخدم الخطيب الاستشاري الذي يعتمد على المنهج الاستقرائي والأمثال التاريخية لتعزيز تأثير الخطاب ودفع الجمهور لاتخاذ قرارات حاسمة.

وعندما يخاطب القضاة المتمرسين فإنه يحتاج إلى استدلالات صارمة، فيعتمد على المنهج الاستنباطي والقياس.

أما عند التركيز على الأشخاص أو الأحداث المعروفة مسبقا، حيث لا يحتاج إلى كسب المستمعين، فإنه يوظف الخطاب القيمي ويستخدم أساليب السرد والتعظيم.

لكل نوع من الخطاب مقام خاص وزمان محدد وقيم يستند إليها، ولكل مقام نوع خاص من الجمهور له ضوابط ومحددات (طروس، 2005، الصفحات 15,16)

2.5 مراحل إنتاج القول الحجاجي: وضع أرسطو للخطيب معايير دقيقة يعتمدها في إنتاج خطابه وهي:

الإبداع أو الاختيار: يُحدّد فيها القضية المدافع عنها، والمسلمات التي يركز عليها، والحجج التي يستخدمها للدفاع، والمُعتمدة في الخطابة والتي حدّدها أرسطو هي "القياس المضمر والمثل"

التنظيم: هنا مرحلة تركيب الحجج والتدرّج فيها، استهلالا ثم عرضا للوقائع، ثم نقاشا، فختاما.

التعبير أو الأسلوب: يختار بعناية الأسلوب الأكثر توافقا مع المقام، ويهتم بصورته وتقديم نفسه للمتلقّي، وكيف يأخذ هذا الأخير ومشاعره في اعتباره.

الاستظهار أو الذاكرة: فَوَجَبَ عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يُلْقِيَ وَيَسْتَظْهَرُ لَا أَنْ يَقْرَأَ خُطَابًا مَكْتُوبًا، فَهُوَ مُلَزَمٌ بِتَفَعُّلِ ذَاكِرَتِهِ، إِلَى جَانِبِ الدُّخُولِ فِي عِلَاقَتِهِ مَعَ ذَاكِرَةِ الْمُتَلَقِّي وَذَلِكَ بِالِإِشَارَةِ إِلَى الْأُمُورِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَهُمَا، كَالْقِيمِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ وَالْحَكَايَا الَّتِي يَعْرِفُهَا الْجُمْهُورُ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَسَلَّمَاتُ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الذَّاكِرَةُ الْجَمَاعِيَّةُ.

الفعل أو الإلقاء: الْمَرْحَلَةُ النَّهَائِيَّةُ فِي إِنْتَاجِ الْخُطَابِ، فَوَجَبَ مَعْرِفَةُ نَوْعِ الْجُمْهُورِ وَتَوَقُّعُ رُدُودِ أَفْعَالِهِمْ وَتَفَاعُلِهِمْ، وَالْأَخْذُ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ السِّيَاقِ الَّذِي يَشْمَلُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ وَالظُّرُوفَ الْمُحِيطَةَ بِالْخُطَابِ، لِیْتِمَكَّنَ بِنَاءٌ عَلَى هَذَا- تَعْدِيلُ حُجَجِهِ لِنَتَنَاسَبَ مَعَ جُمْهُورِ الْأَنْوَاعِ الْخُطَابِيَّةِ الثَّلَاثِ (فیلیب بروتون; جیل جوتیه، 2011، صفحة 37)

6. بين الحجاج الخطابي والحجاج الجدلي:

الخطابة والجدل نمطان حجاجيان:عندما نبّه أرسطو في "التبكيّات" إلى أَنَّ النَّاسَ بِاخْتِلَافِ مُسْتَوِيَّاتِهِمْ يَسْتَخْدِمُونَ الْجَدْلَ وَالتَّقْدِّ لِسَعِيهِمْ الْإِدْعَاءَ بِالْمَعْرِفَةِ، وَفِي "الخطابة" أَشَارَ إِلَى حَاجَةِ النَّاسِ إِلَى الْجَدْلِ وَالْخُطَابَةِ، لِأَنَّهُمْ يُحَاوِلُونَ نَقْدَ قَوْلٍ أَوْ تَأْيِيدَهُ أَوْ الدِّفَاعَ أَوْ الشُّكُوكَ، فَقَدْ نَبّهَ إِلَى شُيُوعِ اسْتِعْمَالِ الْحِجَاجِ فِي التَّفَاعُلِ الْقَوْلِيِّ وَتَسَرُّبِهِ إِلَى غَالِبِ الْأَقْوَالِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْ هَذَا الْوَضْعِ جِنْسَانِ حِجَاجِيَانِ هُمَا:

المناقشة أو المحاورّة الجدلية وهو "الحجاج الجدلي" Discution dialectique والخُطْبَةُ أَوْ "الحجاج الخطابي" Discours oratoire فهما يَتَفَقَّانِ فِي كَوْنِهِمَا اسْتِدْلَالًا، وَيَشْتَرِكَانِ فِي اسْتِعْمَالِ شَكْلِيِ الاسْتِدْلَالِ أَيْ الْقِيَاسِ وَالِاسْتِقْرَاءِ، وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي طَرِيقَةِ اسْتِعْمَالِهِمَا.

وَيَخْتَلِفَانِ فِي كَوْنِ الْحِجَاجِ الْجَدْلِيِّ أَشْمَلَ وَأَوْسَعَ مِنْ الْحِجَاجِ الْخُطَابِيِّ، لِأَنَّ الْحِجَاجَ الْجَدْلِيَّ: يَهْتَمُّ بِفَحْصِ قَضَايَا الْفِكْرِ، وَجَوَابِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالسُّلُوكِ، كَمَا يُسَاهِمُ فِي تَوْجِيهِ الْفِعْلِ وَإِنْ كَانَتْ مُمَارَسَتُهُ أَدْخَلَ فِي الْبَحْثِ الْفِكْرِيَّ. أَمَّا الْحِجَاجُ الْخُطَابِيُّ: مَجَالُهُ تَوْجِيهِ الْفِعْلِ وَتَثْبِيتُ الْإِعْتِقَادِ وَصُنْعِهِ.

موضوع المقارنة	الحجاج الجدلي Discution dialectique	الحجاج الخطابي Discours oratoire
سَبَبُ النِّشْأَةِ:	يَنْشَأَنَ فِي فَضَاءٍ مَسْأَلِيٍّ، فَلَا يَكُونَانِ إِلَّا حَيْثُ يَكُونُ صِرَاعٌ وَاخْتِلَافٌ وَخِلَافٌ، وَهَذَا الْأَخِيرُ هُوَ مَنْشَأُ السُّؤَالِ.	يَنْشَأُ مِنْ مَسَائِلٍ تَحْتَاجُ إِلَى إِقْنَاعِ الْجُمْهُورِ بِوُجْهَةِ نَظَرٍ مُعَيَّنَةٍ، أَوْ اتِّخَاذِ قَرَارٍ بِشَأْنِهَا.
الْمَتَحَاجُّونَ	فَهُوَ سُؤَالٌ لَا يُوجَدُ فِي خُصُوصِهِ رَأْيٌ فِي اتِّجَاهٍ أَوْ فِي آخَرٍ، إِنَّهُ فَضَاءٌ لِلْبَحْثِ فِي قَضِيَّةٍ أَوْ نَفْيِهَا، إِمَّا أَنْ تَكُونَ "ق" أَوْ "لا ق"	بِصِفَتِهِ جِنْسٍ حِجَاجِيٍّ تَخَاطُبِيٍّ، فَهُوَ يَقْتَصِرُ عَلَى طَرَفٍ وَاحِدٍ. لَا يَقُومُ عَلَى السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، وَإِنْ تَضَافَرَا جُهُودُهُمَا هُوَ الشَّرْطُ

وَلَوْ كَانَ مَنْشُؤُهُ سُؤَالًا. قَوْلٌ يُنْشِئُهُ الْخَطِيبُ وَحْدَهُ وَالْغَرَضُ مِنْهُ هُوَ الْإِقْنَاعُ بِـ "حُكْمٍ" وَهَذَا الْحُكْمُ هُوَ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ الَّذِي اسْتَنَارَهُ الْوَضْعُ الْخِلَافِي. الْمَقُولُ إِلَيْهِ: مَجْمُوعَةٌ مِنْ السَّامِعِينَ، يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ جُمْهُورٌ، هَذَا الْأَخِيرُ رَقِيقُ الثَّقَافَةِ وَسَادِجٌ. لِذَلِكَ لَا يُسْتَعْمَلُ هَذَا النَّوعُ فِي فَحْصِ الْقَضَايَا بَيْنَ الْمُتَخَصِّصِينَ.	الْأَسَاسِي لِتَقْدِيمِ مُنَاقَشَةِ جَيِّدَةٍ، فَلَيْسَ فِي قُدْرَةِ طَرَفٍ وَاحِدٍ إِنْجَازَ عَمَلٍ مُرْضِيٍّ يَشْتَرِكُ فِيهِ اِثْنَانِ يَتَعَاوَنَانِ فِي فِعْلِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، عَلَى أَنَّ السَّائِلَ هُوَ الطَّرَفُ الْأَهَمُّ فِي الْجَدَلِ لِأَنَّهُ هُوَ مَنْ يُرْتَّبُ حَرَكَةُ الْحِجَاجِ بِأَسْئَلَتِهِ وَيَسْتَنْدِرُجُ الْمَجِيبَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَرْدًا وَاحِدًا، نَاطِقًا بِاسْمِ مَجْمُوعَةٍ. فَالْمَقُولُ إِلَيْهِ إِمَّا فَيَلْسُوفُ أَوْ طَالِبُ فَلَسَفَةٍ، أَوْ مُتَّقِفٌ... إلخ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْحِجَاجُ الْجَدَلِيُّ بَيْنَ أَفْرَادٍ نُخْبَةٍ مُتَّقِفَةٍ وَمُتَرَوِّضُونَ عَلَى الْجِدَالِ وَالْبَحْثِ الْفَلَسْفِيِّ، مِنْ أَجْلِ اخْتِبَارِ الْقَضَايَا وَنَفْذِهَا. لِذَلِكَ يُسْتَعْمَلُ هَذَا التَّقَاشُ الْجَدَلِيُّ فِي تَغْيِيرِ مُعْتَقَدٍ.	
السِّمَةُ الْجَمَاعِيَّةُ إِقْنَاعِي يَسْعَى إِلَى إِقْنَاعِ السَّامِعِ بِحُكْمٍ جَدِيدٍ، مِمَّا يَرْفَعُ الْمَسَافَةَ بَيْنَ السَّامِعِ وَالْحُكْمِ الْمُقْتَرَحِ وَيَبْنِي قَبُولَ هَذَا الْحُكْمِ فِي ذِهْنِهِ.	السِّمَةُ الْفَرْدِيَّةُ تَبْكَيْتِي يَهْدَفُ إِلَى التَّشْكِيكِ وَإِعَادَةِ النَّظَرِ فِي الْحُكْمِ الْأَوَّلِيِّ لِلْسَّامِعِ، مِمَّا يُقِيمُ مَسَافَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ حُكْمِهِ الْأَوَّلِيِّ وَيَعْمَلُ عَلَى نَفْيِهِ.	اتجاه الحجاج
الْحُجَجُ الْخَاصَّةُ: قَضَايَا تَعْتَمِدُ مُقَدِّمَاتٍ ضَمَائِرَ، أَيْ مُقَدِّمَةً وَاحِدَةً لِدَعْمِ الْفِكْرَةِ بِدَلَالَةٍ مِنْ حُجَجٍ تَشْمَلُ مُقَدِّمَتَيْنِ وَنَتِيجَةً. الْحُجَجُ الْمُشْتَرَكَةُ: الْمِثَالُ وَالضَّمِيرُ. الْحُجَجُ الصَّنَاعِيَّةُ: مِنْ صُنْعِ الْخَطِيبِ فَهُوَ مَنْ يُنْشِئُهَا. الْحُجَجُ غَيْرُ الصَّنَاعِيَّةِ: جَاهِزَةٌ	تَصَدِيقَاتِهِ صِنَاعِيَّةٌ، فَالسَّائِلُ هُنَا يَعْتَمِدُ عَلَى مَا يُنْتِجُهُ بِنَفْسِهِ.	الحجج أو التصديقات

وَمَوْجُودَةٌ مِنْ قَبْلِ، كَمَثَابَةِ حَقَائِقٍ وَأَدِلَّةٍ. حُجَجٌ يُبْنَى بِهَا الاستِدْلَالُ الخطابي، وأخرى من خارجه: تتعلقان بأخلاق الخطيب "الإيتوس"، وأخرى بانفعال المتلقي "الباطوس" وأخرى بقوة القول "اللوغوس" (صمود، دبت، الصفحات 91-263)		
قياس خطابي: وهو الضمير، إنه قياس مُضمَر، يُعتبر أداة تُستخدم التلميح والمفاهيم غير المعلنة للتأثير على الجمهور وإقناعه، يعتمد على تقديم فكرة واحدة غير مباشرة بدلاً من عرض حُجج تفصيلية مباشرة. والاستقراء يتمثل في المثل: يتم الاستدلال من مثيل إلى مثيل، ومن جزئي إلى جزئي، وهو نوعان: التاريخي: يتعلق بسرد الأحداث التي وقعت في الماضي. المخترع: يتضمن جهود الخطيب في بناء أمثلة جديدة، وهو بدوره نوعان: تشبيهي: يُقيم تناظراً بين حالات مشابهة. خرافي: يعرض قصصاً على لسان الحيوان (عبد اللطيف، 1434 - 2013، الصفحات 51-56)	الاستدلال الجدلي استدلّال يعتمد على الاحتمالات، وينطلق من مقدمات مُحتملة، ويعتمد على أفكار شائعة مقبولة، تُسمى المشهورات. الاستقراء الجدلي يسعى إلى بناء قضايا وأحكام من خلال استنباط أمثلة جزئية، يبدأ بملاحظة ما يحدث في حالات معينة، ثم يستنتج منه ما يمكن أن ينطبق على جميع الحالات المماثلة أو ينفي ذلك. القياس الجزئي يقوم بتحليل الجزئي من الكلي، أي أنه يتحرك من العام نحو الخاص.	الاستدلال الذي يتحقق عن طريق استخدام الحُجج، عبر منهجيتين: الاستقراء والقياس

بعد استعراض مختزل مختصر لجهود أرسطو في تمييزه بين الحجاج الجدلي والخطابي نجد أنه قدم رؤية واضحة المعالم متكاملة الدقة، تميز بين الاستخدامات المختلفة لكل منهما، في سياقات وظروف مختلفة متنوعة، فمن خلال إشارته الدقيقة

والصائبة إلى هذا التمييز قَدَمَ إطاراً نظرياً مُفصَّلاً يُعزِّزُ فَهْمَنَا لِكَيْفِيَّةِ تَطْبِيقِ الْحِجَاجِ فِي سِيَاقَاتٍ فَرْدِيَّةٍ فَلَسْفِيَّةٍ وَجَمَاعِيَّةٍ، مِمَّا أَسْهَمَ فِي تَطْوِيرِ نَظَرِيَّاتِ الْبَلَاغَةِ فِي مَحَطَّاتِهَا الْحَدِيثَةِ الْقَادِمَةِ.

7 خاتمة:

فِي مَحَطَّتِنَا الْأَخِيرَةِ مِنْ هَذِهِ الْوَرَقَةِ الْبَحْثِيَّةِ، الَّتِي خُصِّتْ بِدِرَاسَةِ الْحِجَاجِ فِي فَلَسَفَةِ أَرِسْطُو الْمَتَّارِجِحِ بَيْنَ الْجَدَلِ وَالْخُطَابَةِ، يُمَكِّنُ أَنْ نَسْتَعْرِضَ الْآنَ أَبْرَزَ النُّتَاجِ الَّتِي تَمَّ التَّوَصُّلُ إِلَيْهَا مِنْ خِلَالِ هَذَا التَّحْلِيلِ الْعَمِيقِ لِمَوْقِفِ أَرِسْطُو فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْحِجَاجِ الْجَدَلِيِّ وَالْخُطَابِيِّ، فَنَقُولُ:

✓ إِنَّ مَوْضُوعَ الْحِجَاجِ قَدِيمٌ قَدَمَ الْحَضَارَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَفَلَسَفَتِهَا، فَلِهَذِهِ الْحَضَارَةِ شَرَفُ السَّبْقِ وَلَأَرِسْطُو فَخْرُ التَّنْظِيرِ الْأَوَّلِ، وَلَوْ اخْتَلَفَتْ أَشْكَالُهُ وَطَبِيعَتُهُ وَتَوَجُّهَاتُهُ فِي النُّظَرِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ بَعْدَهَا.

✓ أَرِسْطُو تَتَبَّهَ بِدَقَّةٍ إِلَى مَا يُمَكِّنُ أَخْذَهُ مِنَ السُّوفِسْطَائِيِّينَ "تَقْنِيَّاتِ الْإِقْنَاعِ" وَمِنْ مُعَلِّمِهِ أَفْلَاطُونِ "التركيز العقلي"، لِيَقُومَ بَعْدَهَا بِتَقْدِيمِ إِطَارٍ عِلْمِيٍّ وَمَنْهَجِيٍّ لِنَظَرِيَّةِ الْحِجَاجِ يَفْرُوعُهَا الْمَخْتَلِفَةُ، فَتَنْجَحُ فِي تَقْدِيمِ هَذَا النَّمُودَجِ الْمُنَوَازَنِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الْعَقْلَانِيَّةِ وَالْوَاقِعِيَّةِ، وَالَّذِي يُمَكِّنُ تَطْبِيقَهُ فِي عَدِيدِ الْمَجَالَاتِ الْحَدِيثَةِ، مَا يَجْعَلُ دِرَاسَتَهُ ذَاتَ قِيَمَةٍ مُسْتَدَامَةٍ، تَظَلُّ اسْهَامَاتُهَا فِي هَذَا الْمَجَالِ مَرْجَعًا أَسَاسِيًّا لِكُلِّ مَنْ يَسْعَى إِلَى فَهْمِ دِيْنَامِيكِيَّاتِ الْبَلَاغَةِ.

✓ أَظْهَرَتْ دِرَاسَةُ أَرِسْطُو أَنَّ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْجَدَلِ وَالْخُطَابَةِ أَيْسَ مَجْرَدَ تَمْيِيزِ شَكْلِيٍّ، بَلْ تَمْيِيزٌ يُؤَكِّدُ دَوْرَ كُلِّ مِنْهُمَا فِي بِنَاءِ الْحُجَّةِ وَتَوَجُّيْهِهَا، فَهِيَ فِي الْجَدَلِ تَصْطَبِّحُ صَبْغَةً لِنَقَاشِ الْفَلَسْفِيِّ الْاسْتِدْلَالِيِّ، وَفِي الْخُطَابَةِ تَتَمَيَّزُ بِسِمَةِ الْإِقْنَاعِ وَتَأْسِيسِ الْقِيَمِ لَدَى الْجُمْهُورِ.

✓ الْمَمَارَسَةُ الْحِجَاجِيَّةُ تَمَثِّلُ نَقْطَةَ تَلَاقٍ بَيْنَ الْحِجَاجِ الْجَدَلِيِّ وَالْخُطَابِيِّ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي اخْتِلَاطَ النَّمَطَيْنِ، فَالْحِجَاجُ الْخُطَابِيُّ يَهْدَفُ إِلَى بِنَاءِ الْإِقْنَاعِ دُونَ مَسْأَلَةِ، فِي جَيْنِ يَسْعَى الْحِجَاجُ الْجَدَلِيُّ إِلَى إِثَارَةِ الْأَسْئَلَةِ وَتَغْيِيرِ الْإِعْتِقَادَاتِ.

6 قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
2. أبو بكر العزاوي. (2006). اللغة والحجاج. الدار البيضاء.
3. احمد مختار عمر وآخرون. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.
4. أرسطوطاليس. (1997). الخطابة. الكويت، بيروت - لبنان: وكالة المطبوعات و دار القلم.
5. بن زكريا أحمد ابن فارس. (1979). مقاييس اللغة. دار الفكر.

6. جميل حمداوي. (2014). من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. المغرب: أفريقيا الشرق.
7. حمادي صمود. (د.ت). أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم. تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.
8. رولان بارت. (بلا تاريخ). قراءة جديدة للبلاغة القديمة. أفريقيا الشرق.
9. طه عبد الرحمن. (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء و بيروت: المركز الثقافي العربي.
10. عادل عبد اللطيف. (1434 - 2013). بلاغة الإقناع في المناظرة. الرباط: دار الأمان.
11. عبد الرحمن بدوي. (د.ت). ربيع الفكر اليوناني. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
12. فيليب بروتون; جيل جوتييه. (2011). تاريخ نظريات الحجاج. المملكة العربية السعودية: مركز النشر العلمي.
13. محمد الشريف الجرجاني. (1958). كتاب التعريفات. بيروت - لبنان: مكتبة لبنان.
14. محمد الولي. (2005). الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية. الرباط: دار الأمان.
15. محمد بن الحسن الحنبلي. (1993). العدة في أصول الفقه. بيروت: مكتبة لبنان.
16. محمد سالم محمد الأمين الطلبة. (2008). الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر. بيروت - لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
17. محمد طروس. (2005). النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
18. محمد فتحي عبد الله. (1995). الجد بين أرسطو وكنط. بيروت - لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
19. مصطفى النشار. (1995). نظرية العلم الأرسطية. القاهرة: دار المعارف.

المقالات:

20. منتصر نبيه محمد الصادق. (2018). سلطة النص وآليات الحجاج قراءة في نونية أبي إسحاق الإلبيري. الدراسات العربية، 37(10)، 5604.